**كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف، في لقاء "جامعة القدّيس يوسف، أربعون سنة في خدمة لبنان الجنوبي"، للاحتفال بمرور أربعين سنة على تأسيس مركز الدروس الجامعيّة في لبنان الجنوبي (CEULS)، يوم السبت الواقع فيه ٤ آذار (مارس) ٢٠١٧، في الساعة الحادية عشر صباحًا.**

أيّها الأصدقاء،

لا يسعني إلاّ أن أكرّر كلمات الترحيب باسم جامعة القدّيس يوسف في بيروت لما فيها من عمق المحبّة وعراقة العلاقة الإجتماعيّة، أُضيف إليها الشكر لكم أنتم الذين لبّيتم الدعوة إلى هذا اللقاء والامتنان للمحاضرين الكرام على مداخلاتهم القيِّمة. فإنّما اجتمعنا اليوم لنحتفل معًا بذكرى عزيزة على قلوبنا جميعًا، إنّها الذكرى الأربعين لسنة المبادرة لتأسيس مركز الدروس الجامعيّة في صيدا ولبنان الجنوبي وهي مبادرة غيّرت الكثير من المفاهيم وأعطت الجنوب زخمًا فكريًّا واجتماعيًّا له وقعه في حياتنا اليوميّة. فالشكر لكم أنتم الشركاء في تحقيق هذه المبادرة رؤساء وممثّلي المؤسّسات والمقامات التربويّة والإقتصاديّة والمدنيّة والأمنيّة والبلديّة، كنتم معنا في المغامرة وما زلتم.

في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٧٧ منذ أربعين سنة خلت، دشّن الأب جان دوكرييه، رئيس جامعة القدّيس يوسف آنذاك، مركز الدروس الجامعيّة في صيدا ولبنان الجنوبي. وعندما نذكر هذا اليسوعي الفرنسي الذي كرّس حياته لخدمة لبنان ولخدمة الفكر والثقافة في لبنان ولخدمة صيغة لبنان الواحد القويّ بأبنائه جميعًا وبوحدة أبنائه جميعًا، إنّما نحيّي ذكرى هذه الشخصيّة الفذّة ونتذكّر جميع الذين عملوا على إنشاء هذا المركز في البداية في مدرسة مار يوسف الظهور – صيدا ثمّ في البراميّة وتناوبوا على

إدارته وخدمته حفظًا لرسالته ومنهم الأبوين الرئيسين سليم عبو والراحل جُلّت ذكراه رينيه شاموسي من دون أن ننسى المدير السابق لهذا المركز الأستاذ مصطفى أسعد والمدير الشهيد أندريه ماسّ الذي ما زالت ذكراه حيّة فينا. الأب دوكرييه، في خطابه الذي ألقاه آنذاك، حدّد ثلاث ثوابت لن تُنسى على الإطلاق. الثابتة الأولى التي تحدّث عنها هي تلك الصداقة التي كانت تجمع بين الرهبانيّة اليسوعيّة وجنوب لبنان منذ أجيال طويلة حيث إنّ اليسوعيّين كان لهم دير في صيدا في القرن السابع عشر يقوم بخدمة الناس الخدمة الإجتماعيّة والتربويّة ويقدّم الخدمة الروحيّة لزوّار صيدا الأجانب من التجّار ومن الحجّاج الذاهبين إلى الأرض المقدّسة. وفي القرن التاسع عشر إزدهرت المدارس الصغرى في جنوب لبنان ومنها ما كان يرعاه اليسوعيّون في جزّين وقرى الجنوب ولقد بقى من آثار تلك المدارس حتّى اليوم مدرسة عين إبل لراهبات القلبين الأقدسين حيث للرهبانيّة مقرٌّ في عين إبل ما زال صامدًا حتّى اليوم من صمود أهالي جنوب لبنان. ويتذكّر الأب دوكرييه السنة ١٩٤٨ عندما أمضى عطلته الصيفيّة في تلك البلدة المضيافة العزيزة.

وإلى الصداقة التي جعلت القلوب تهتزّ فرحًا لجنوب لبنان، يقول الأب دوكرييه إنّ الجامعة اليسوعيّة أرادت أن تكون حاضرةً في قلب جنوب لبنان وأن تؤسّس فيه شيئًا ما ممّا عندها من الثقافة والكفاءة الجامعيّة. "فقلعة صيدا البحريّة لا ينبغي أن تكون بابًا للهجرة بل بابًا للعودة، فلذلك علينا جميعًا، أن نبني لبنان الجنوبي، فهذه مهمّة وطنيّة بامتياز". يضيف الأب دوكرييه قائلاً : "لقد اخترنا صيدا لإنشاء مركز الدروس الجامعيّة، بل إنّنا نريد أن تصل دائرة إشعاعه حتّى الحدود اللامنظورة للوطن اللبناني.

فلا خطوط حمراء على طريق الثقافة وعلى طرق التطوّر. وعلى جامعات لبنان، وكان عددها إذ ذاك لا يتجاوز الثمانية، أن تروي غليل أرض البلاد كلّها". وهكذا فإنّ ما كان همّ الأب دوكرييه ولا يزال همّنا اليوم هو أن تستفيد الشبيبة وخصوصًا شبيبة جنوب لبنان من التثقيف والتربية الجامعيّة بحيث تحصل على أفضلِ الشهادات وأجودها وأن تساهم بالتالي في نهضة الجنوب وتطوّره ونموّه الإجتماعي والإقتصادي.

والثابتة الثالثة التي أشار إليها الأب دوكرييه في خطابه آنذاك في السنة ١٩٧٧، كانت تتعلّق بالمآسي والآلام التي عانى منها الجنوب وفلسطين ولا يزالان. إنّه أعطى مثال القدّيس يوسف، والجامعة على اسمه، الذي تراءى له الملاك وطلب منه أن يذهب إلى المنفى إي إلى مصر أرض الكنانة مع يسوع المسيح وأمّه العذراء. وهكذا فإنّ يسوع أراد أن يقاسي ما تقاسيه الشعوب من التهجير والتنكيل والحروب التي يفتعلها أبناء البشر أنفسهم. فمن أصداء تأسيس هذا المركز الجامعي، نتوقّف عند حقوق كلّ أسرة بشريّة أن تعيش تحت سقف بيتها وعند حقّ كلّ إنسان بحماية أرض آبائه وأجداده. ويتذكّر الأب دوكرييه أنّ الكلمات الأولى التي تعلّمها في عين إبل باللغة العربيّة كانت نشيدًا يتحدّث عن "أرض بلادي" وعن "العناية بجروح أبنائها". "وإن هربتم من هذه الأرض فمن يحميها عند الضيم والمأساة ؟". فعندما تحلّ الجامعة اليسوعيّة في أرض معيّنة، وخصوصًا في أرض مثل أرض الجنوب، تعيش معاناتها وتقاسم أهلها ما يعيشون، إلاّ أنّها تفكّر أيضًا بالعمل من أجل مدّهم بالمهارات والكفاءات التي تُعزّز الصمود والازدهار.

أيّها الأصدقاء، إن تأسيس هذا المركز منذ أربعين سنة وعَمله الجامعي الدؤوب في ظلّ صدى تلك الكلمات التي قالها الأب جان دوكرييه أثمرت وأينعت أزهارًا عديدة، هم متخرّجو وقدامى هذا المركز الأكثر من الألفي متخرّج حتّى اليوم في إدارة الأعمال والآداب الفرنسيّة والعلوم التمريضيّة وعلم التربية وفي علوم التنشئة على الحوار الديني بالشراكة مع مطرانيّة صيدا للروم الكاثوليك وأيضًا اليوم في علم الوساطة وعلوم الحياة والأرض والرياضيّات وقد تجمّع المتخرّجون في رابطةٍ نشيطة شاركنا في ما قامت به وسوف نسمع عنها بما ستحقّقه من أنشطة في سبيل الخرّيجين والجامعة. ولا شكّ أن الجامعة، بما قدّمته من إسهامات في التعليم والتوجيه والتدريب والتثقيف والحوار الوطني الإجتماعي والروحي والديني، إنّما أنشأت أجيالاً متلاحقة قياديّة أصحاب رؤيا وعزيمة وإرادة، بدّلت الكثير من الأمور والمفاهيم وقامت بدورها في إنماء الحنوب وحتّى لبنان إقتصاديًّا وإجتماعيًّا بالرغم من استمرار وجود بؤر الجهل بسبب الحرمان وغياب المؤسّسات الحكوميّة الفاعلة.

إنّ جامعتنا بما قدّمته إنّما كانت وفيّة لوثيقتها التأسيسيّة التي تنادي للعمل من أجل وحدة لبنان باتّحاد أبنائه بأواصر المواطنيّة ورقيّهم الثقافي والجامعي فلا يجوز أن يكون رأسمال لبنان البشري المتعلِّم من بعض شوارع بيروت فقط بل إنّ العلم هو للجميع ورأسمال لبنان يتكوّن من أبنائه كافّة. فبهذا النهج وبهذه الروحيّة تستمرّ الجامعة اليسوعيّة حاضرة في صيدا والجنوب، تقوم بما تستطيع القيام به لا بل أكثر من أجل أن يستمرّ لبنان الجنوبي في النموّ والتطوّر والتكامل والارتقاء بالإنسان إلى الأعلى والأفضل. فاليوم إذ أهنّئ أبناء هذا المركز على عيدهم الأربعين إدارةً وأساتذة وطلاّبًا

قدامى من المتخرّجين، فإنّما نهنّىء أنفسنا لأنّ الثمار بعد أربعين سنة من العمر أتت وفيرة، نيّرة وناضجة أسهمت وتسهم في إغناء روح اللبنانيّين برائحتها الزكيّة وطعمها اللذيذ وبهذا المبدأ الفاعل والحقيقي الذي تحدّث عنه حضرات المحاضرين في مداخلاتهم والذي يقول بأنّ المواطنيّة، مواطنيّة الحقوق والواجبات، مواطنيّة المساواة والأخوّة والاحترام المتبادل والوحدة اللبنانيّة هي المقياس لمدى محبّتنا لبعضنا البعض وانتمائنا للبنان ولقدرتنا على مواجهة الصعوبات والأزمات. فها نحن على الوعد مستمرّون بأن نبقى هنا في صيدا والجنوب، منارة علم وثقافة وحفاظ على الدين والأخلاق، نبقى لأنّنا متميّزون في فرانكوفونيّتنا وفي تعدّدنا اللغوي والبشري والإجتماعي، في عزمنا المستمرّ على إعداد جيل النخبة والقيادة وفي نظرتنا إلى التربية الجامعيّة لا كمجرّد تسليم شهادات، بل تكوين أشخاص، شبّان وفتيات على أعلى درجةٍ من الكفاءة والمهارة. والجامعة بما تخطو به من تقدّم وتطوّر في منهجيّاتها وطلبها للاعتماد من أرقى المؤسّسات الدوليّة وانتقالها إلى مراكز متقدّمة في التصنيف الدولي، إنّما تعمل في الوقت نفسه من أجل مراكزها كافّةً في طرابلس والشمال وزحلة والبقاع وفي دُبي بدولة الإمارات العربيّة المتّحدة وكذلك في صيدا والجنوب. فهذه المراكز هي المرآة الجميلة الراقية التي تطلّ منها جامعتنا على لبنان والعالم العربي وعلى العالم أجمع بإرادة تميُّزها في سبيل الوطن وأبنائه من دون تمييز أو محاباة، إذ إنّ إيمانها ثابت بأن من يعمل للوطن اللبناني بمختلف أجنحته ومناطقه هو الرابح وهو الذي يجعل الجميع رابحين بكفاءاتهم وشخصيّاهم المميّزة.

شكرًا لكم جميعًا أنتم الذين أتيتم للاحتفال بالعيد وأنتم أصحاب العيد. شكرًا لكم جميعًا أنتم الذين أعددتم من قلبكم هذا الاحتفال وهذه المناسبة، والشكر لحضرة المديرة وجميع فريق العمل والطلاّب والطالبات المتطوّعين اليوم لجعل هذا اليوم بحقّ يوم مركز الجامعة اليسوعيّة في صيدا ولبنان الجنوبي.

وشكرًا لكِ صاحبة السعادة السيّدة بهيّة الحريري على حضورك وكلماتك الرائدة، شكرًا لكِ السيّدة ديانا فاضل على كلماتك المؤسِّسة للمواطنة الصالحة عبر النموّ الدائم وشكرًا لك حضرة الرئيس محمّد صالح على دعوتكم إلى النهوض الإقتصادي عبر الجامعة والثقافة.

عشتم،

عاشت الجامعة اليسوعيّة في صيدا والجنوب،

وعاش لبنان.